وزراء أقل ومحافظون أقوى وحزب أنشط !

وزراء أقل ومحافظون أقوى وحزب أنشط !

أنيس منصور

التحرير

رأى أحد النقاد الكاتب الفرنسى العظيم فيكتور هيجو . فقال : إنه من كثرة النظر إلى داخله ، اقفلت عيناه فلم يعد يرى شيئا ! . .

ونحن من كثرة النظر إلى خارجنا ، لم نعد نرى لا خارجنا ولا داخلنا . . إنه العمى إلا قليلا ! . .

فقد استغرقنا المشاكل الخارجية : إسرائيل والاحتلال والقضية الفلسطينية . .

ولكن إسرائيل ليست مشكلة خارجية . إنها مشكلة أقحمت علينا حياتنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والروحية . . ولذلك كان حل هذه المشكلة المعقدة علاجا لكثير مما تعانيه مصر والأمة العربية . أو ما تعانيه مصر وحدها . .

وما تشارك به الدول العربية كلها فهو أدق بلاغى . فلا تزال بعض الدول العربية فى مواجهتها لإسرائيل ، تستخدم نفس أسلوب الشعراء القدامى مثل جرير والفرزدق . ورغم تطور الأسلحة الخطيرة فى العالم ، فإن العرب ما يزالون يستعيدون الشعر القديم من غروب الشمس إلى شروقها . ومازالوا يختلفون على معانى المفردات المستخدمة فى محاربة إسرائيل . ومعنى ذلك أنهم قرروا التفرج على مصر ، وما الذى سوف تفعله ، دون أن يرضيهم ما تفعله مصر ، ودون أن يكون لديهم بديل يقدمون به .

ومنذ أيام استعار بريزنسكى مستشار الأمن القومى الأمريكى هذه المعانى وهو يتحدث عن دور أوروبا فى مواجهة أزمة إيران والعدوان على أفغانستان . فإنهم الأوروبيين ، إنهم يتفرجون ولا يساهمون بشىء !

وعلى الرغم من أننا حققنا جانبا من السلام مع إسرائيل ، فإن الخلاف على شىء ليس هو القضية . إنما القضية أن تكون للشعب الفلسطينى دولة مستقلة ذات سيادة ، كما أصبحت لإسرائيل دولة – هذا العام أو هذا القرن .

وإذا جاء يوم ٢٦ مايو دون أن نصل إلى شىء مما نريد ، فليس هناك ما نخفيه . فقد تعرضت المفاوضات قبل ذلك ، وجمع وزير خارجية مصر أوراقه ، وعاد من القدس ، وجمع الرئيس السادات أوراقه ، وكاد يعود من كامب دافيد . ومن الممكن أن يعود د . مصطفى خليل أو إسحاق شامير من الجيزة أو هرتسليا . ولكنها لن تكون نهاية العالم . وكل شىء يدل الآن على أن هذا هو ما سوف يحدث ! . .

ولم تتضاءل أعباء الناس فى مصر بعد .

فأثناء الانسحاب الإسرائيلى من مصر ، وأثناء ارتفاع أعلامنا ، ارتفعت أيضا أسعار الطعام فى مصر . فالرغيف قد ظهر متكررا فى أحجام وأشكال وألوان وأوزان مختلفة . ثم اختفى . ليظهر فى « زريبة » البائع ، بالبابا عن العلف الذى اختفى أيضا . ويظهر السكويت والكعك ، ويرتفع السكر واللبن والسمن .

وترفع الدول العربية سعر البترول . وتتكدس أموالها فى بنوك بيوت أوروبا وأمريكا . وبارتفاع سعر البترول ، ترتفع كل السلع الأخرى التى تعتمد على طاقة البترول . وبذلك تكون الدول العربية التى أمسكت يدها عن دعم مصر فى تحريرها للأرض العربية ، قد رفعت عليها أسعار كل المنتجات الغالية والخفيفة مثل الزبادى والأدوات الصحية ، وأجور الحرفيين .

ولأن السلام لم يتحقق بعد ، فإننا ننفق ألوف الملايين على الأسلحة المتطورة ، دفاعا عن أنفسنا ، واستعدادا لمواجهة ما سوف تأتى به رياح الغدر أو الحماقة من ليبيا أو الخليج أو جنوب وشرق السودان .

ومع سياسة الباب الاقتصادى المفتوح لهروب الأموال المصرية والأجنبية ، اختفت الأيدى بالفلوس ، وزاد الإقبال على كل شىء ، فارتفعت الأسعار . وكان لابد أن تأخذ الدولة نصيبها من أرباح الناس . وهذا واجب . ولكن الدولة لا تعرف – حتى الآن – ما الذى تكسبه الرأسمالية الوطنية ولا السياسة والوكلاء والمكاتب الاستشارية أو الأطباء والمهندسون والخلاقون والنزية . . ولا « طبقة » الحرفيين .

ولذلك لجأت الدولة إلى العدل الذى هو أقرب إلى الظلم . فامتدت يدها إلى مرتبات الموظفين . فأخذت الدولة ما لا تستحق من خزائن المؤسسات والهيئات . قبل أن تمتد يد الموظف إلى مرتبه الشهرى . فالذى تعرفه الدولة هو الذى تعاقبه . أما الذين لا تعرفهم من الأغنياء والتجار . فلا تشاركهم فى شىء . وأصبح الموظفون كاللصوص الفاشلين – فاللص الفاشل هو الذى يقع فى يدى البوليس . أما اللصوص الأذكياء فلا أحد يعرفهم . فالدولة تعامل المواطنين الشرفاء . كما لو كانوا لصوصا خائبين ! . وأصبح هؤلاء اللصوص الخائبون هم الذين يساهمون فى تحقيق كل الخدمات التى لا يستفيدون منها . ويستفيد منها الذين لا يدفعون الضرائب ! . .

والدولة فى هذا الموقف المؤسف تبعث على الضحك أيضا . وهى فى ذلك تشبه رجلا ظهر على المسرح مخمورا . يبحث عن مفتاح شقته الذى ضاع منه . وظل ينظر فى الأرض حتى وجد من أحد أعمدة النور . فاقترب منه واحد من رجال الأمن . وسأله : عن أى شىء تبحث ؟ فقال المخمور : عن المفتاح . فسأله البوليس إن كان المفتاح قد ضاع منه فى هذا المكان . فأجاب الرجل : بل ضاع منى فى أول الشارع . واندهش الشرطى ليسأله : ولكن لماذا تبحث عنه هنا ؟

فقال المخمور : لأن هنا هو المكان الوحيد الذى فيه نور !

ونحن الموظفين ضحية للضرائب لأننا فى النور – أى معروف ما الذى نتبطه !

❁❁❁

ثم أصبح الضيق عاما . ومن مظاهر الضيق إحساسنا بأننا كثيرون جدا . وأن بلادنا مكتظة بالسكان . والحقيقة أننا لسنا كذلك . فمصر تتسع لمائة مليون نسمة . ولكن توزيع السكان سيىء . فحاليا يسكن عشرة أفراد فى شقة بها خمس غرف . فيتركون أربع غرف ويتكدسون فى واحدة – فلا يمكن أن توصف هذه الشقة بأنها ضيقة على من فيها . إنما سكانها هم الذين اختاروا فى غرفة واحدة ! . .

❁❁❁

أخطاء وقعنا فيها عند دراسة طبيعة المشاكل وحجمها . وأخطاء **وهناك** أخرى فى تشخيصها . وبالتالى فى علاجها .

ويمكن الإشارة فقط إلى بعض قنوات « صنع القرار » . . قرار التشخيص والعلاج بعد ذلك . .

من بين هذه الأخطاء : المركزية المطلقة . فعلى الرغم من أننا تواصينا بالثورة على الإدارة المركزية القديمة . فإننا لم نذهب إلى أبعد من ذلك . فما يزال الوزير أو الوزارة . هو الجهاز التنفيذى . سيفا على رقاب العباد . فلقد عادت القاهرة . وسحبت سرا ما أعطت أنها قد أعطته للمحافظ ليكون سيد الإقليم . أو رئيس جمهورية الإقليم . ولا يزال الساعى الواقف أمام باب المحافظ . إحدى مشكلات السيد الوزير فى القاهرة . ومعنى ذلك أن الوزير فى القاهرة يجلس تحت أكوام من المشاكل الصغيرة التى تخنقه وتشل يديه . وإذا كان الوزير هو قمة الجهاز التنفيذى . فإن التاج الذى وضعناه على رأسه ليس من الذهب إنما له قرون الذهب . ووزن الرصاص . ورمز الأسر .

ولم يعد الوزير ولا الوزارة شيئا كبيرا . لا ماديا ولا أدبيا . وإن كانت منصبا مرغوبا يشبه الصحة . تاج على رءوس الأصحاء لا يعرفه إلا المرضى . أى لا يعرفه إلا الذين ليسوا وزراء أو لم يعودوا وزراء ولا يمكن أن ينجحوا فى قضاء شىء دون الرجوع إلى الوزير . وهذه هى مشكلة المشاكل فى مصر . لابد من الوزير ليحل مشكلة الحفر والساعى . وليعاقب أصغر الموظفين وأعمى المهملين ! . .

فلا الوزير قادر على أن يكون وزيرا . ولا المحافظ قادر على أن تكون له سلطات رئيس الجمهورية !

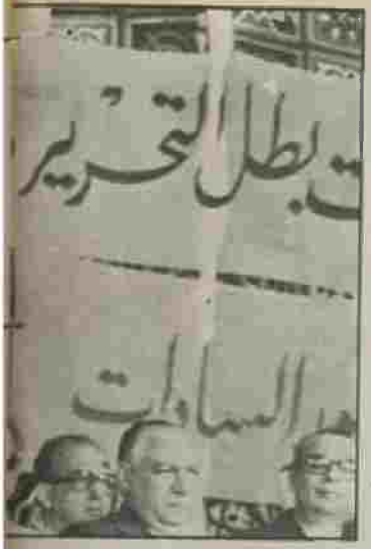

وزراء فاشل ومحافظون أقوى وحزب أنشط !

وفى العريش توجد الرئيس السادات ◀ ووجد بالقلاب هادى ، يوم ١٤ مايو

فأين الخطأ ؟ .

الخطأ هو أن كل الخيوط الإدارية ما تزال فى يد الوزير . وأنه هو الآمر الناهى – هذا إذا تبع وقته بعد الفراغ من اللجان والزيارات وجلسات مجلس الشعب . والمحاضرات فى الجامعة . والاستشارات لعشرات الهيئات والكليات والبنوك .

ولذلك يجب أن تعيد تحديد مهمة الوزير . ومهمة الوزير فلسفية فقط . أى أن مهمته هى وضع « السياسة العامة » – دون انشغال بالتفاصيل . وهذه السياسة العامة تتولى المحافظات تطبيقها . وفى أمريكا وأوروبا نجد أن عدد الوزراء أقل . . ومن الممكن أن يتولى التربية والتعليم والتعليم الجامعى والشباب والصحة وزير واحد . . ومن الممكن أن يتولى الطاقة والكهرباء والبترول والبترو والصناعة وزير واحد . الخ

ولذلك فسوف ينقص عدد الوزراء . ويندمج الكثير من الوزارات .

وفى العام الماضى كنت فى واشنطن . وتابعت الحملات الانتخابية للمحافظين . وظهر على التليفزيون أحد المحافظين الذى رشح نفسه من جديد . يرد على أسئلة المواطنين . وكان السؤال عن أزمة الإسكان والمدارس والمستشفيات . وكان الهجوم عنيفا . ولكن المرشح جاء رده موجزا مفحما : أنا آسف أن يكون لكل مواطن قصر . وأن يكون لكل تلميذ مدرسة . ولكل مريض مستشفى . لولا أنى لست مسئولا عن كل ذلك . إن هذه مشاكل قومية . ومادامت مشاكل قومية فالحكومة المركزية هى المسئولة وحدها . أنا فقط مسئول عن تطبيق الخطة فى حدود الميزانية التى وافقت عليها الدولة . فأنا فقط أحاسب على الإهمال والتباطىء فى التطبيق ! . .

هذا بالضبط هو ما يجب أن يكون فى مصر .

وبهذا وحده ترفع المعاناة عن الوزير . وترفع المعاناة البيروقراطية عن الشعب كله . عندما تعطى للمحافظ والمجالس الشعبية والتنفيذية التى تعاونه . القدرة على أن تتحرك . وعلى أن تحاسب المحافظ . وعلى أن تطرح الثقة به . وأن تسحبه من مقعده وتأتى بغيره .

فليس من المعقول أن يعرف الوزير فى القاهرة . ما الذى يجرى فى كل المحافظات المختلفة الظروف والإمكانيات المادية . ولكن المحافظين يعرفون ذلك . ولابد أن تلقى الأعباء التطبيقية على المحافظين . وفى هذه الحالة يكون المحافظ مسئولا لأنه حر . ويكون قويا لأنه قادر على اتخاذ القرار . ولا تكون قوته مطلقة لأن هناك من يحاسبه من ممثلى الشعب .

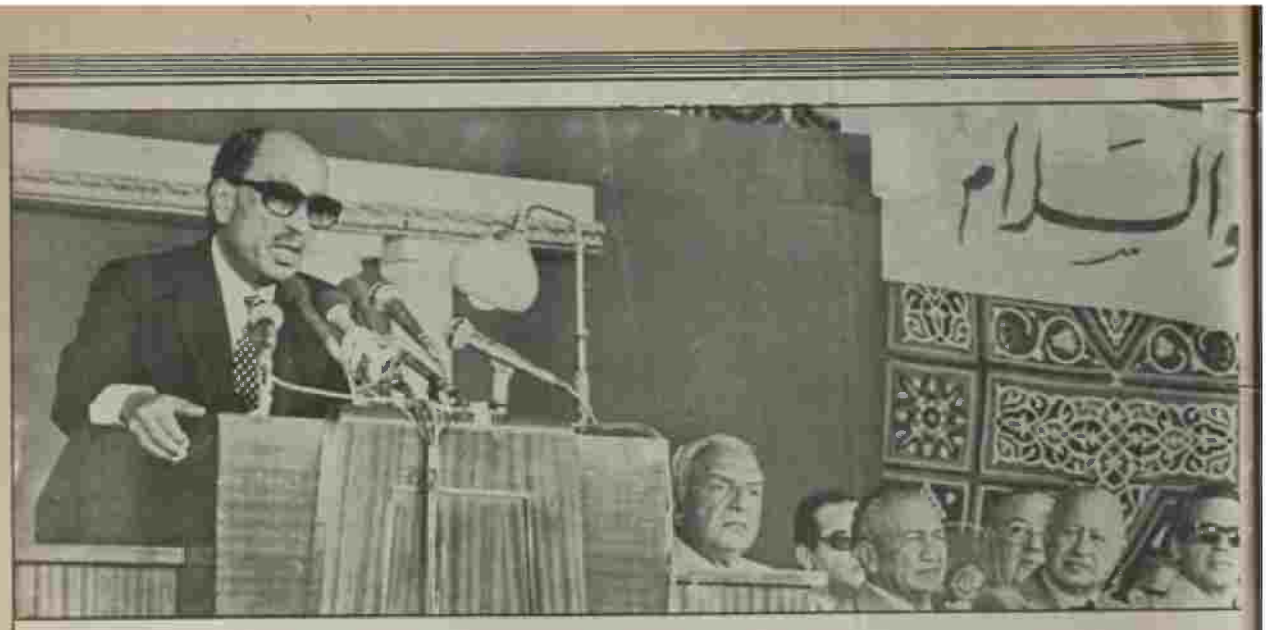

وبدون الشعب بمظاهره المختلفة ، يصعب أن تحقق الدولة شيئاً . أى لابد من أن يكون الشعب صاحب المصلحة . طرفاً أساسياً فى كل قرار . وفى كل تطبيق لهذا القرار أو ذاك عليه .

أى لابد أن يكون للحزب دور . أو يكون له « الدور » الإيجابى . وهذه عبارة يكررها الناس . والناس يكررونها لأنهم يفتقدون هذا الدور . ومعنى ذلك أن الحزب غائب عن الناس . وأن هذا الغياب قد طال . وإذا كان الحزب حاضراً على شكل اجتماعات ولقاءات . فليس هذا حضوراً . إنما الحضور هو أن يكون وسط الناس فى المعاناة . يشرحها ويبحث عن الوسائل لحلها . ولكن هذه الاجتماعات لا تذكر الناس فقط بغياب الحزب أو غيبوبته . بما كان يغيب موقف عن خطه . ثم يمر على زملائه كل يوم . ولا يجلس إلى مكتبه . إنه يذكرهم فقط بأنه لا يعمل !

ولو كان الحزب حاضراً لاختلفت مشاكل كثيرة . ويكفى أن نستعيد صور مندوبى الحزب فى مجلس الشعب يوم نوقشت قضايا الإسكان والضرائب - كانت المقاعد الخالية أكثر حضوراً ...

ويوم نوقش قانون الغيب . ومن قبله نوقشت الميزانية . كان الحزب حاضراً . وكان حضوره مفيداً ومثالياً !

فهل « انتفاضة ١٨ و١٩ » جاءت بسبب غياب الحزب ؟ هل لو كان للحزب حضور ما انتفض هؤلاء الصغار بيوتون ويسرقون ويحرقون ؟ ..

أما الذى حدث قبل ذلك فهو أن « المجموعة الاقتصادية » قد قررت رفع أسعار بعض السلع الضرورية . إنه قرار الخبراء . لا لوم عليهم . ولا شك فى إخلاصهم . ولكن هؤلاء الخبراء عندما ظهروا على شاشة التليفزيون كان ظهورهم أقرب إلى الاختفاء . فقد تجمعهم الناس . ولأنهم لم يفهموهم . فكأنهم لم يروهم . إنهم مثل مجموعة من الأطباء الخبراء حول جسم مريض . وراحوا يتكلمون بالإنجليزية واللاتينية يشخصون المرض ويقررون العلاج . ولكن لا المريض ولا أهل المريض قد فهموا شيئاً مما يقولون . فمن الذى كان من الواجب أن يشرح ذلك للناس ؟ إنه الحزب الذى يضع أصابعه على عذاب الجماهير . فهو لذلك يعرف ما يقع وما يوجع الناس . أما الذى حدث فهو أن الحزب قد فوجئ بهذه القرارات . وفوجئ الناس أيضاً . فكانت فرصة استغلها نفس اللصوص الذين عندما أقيمت مدينة نيويورك سهوا الحلات والبيوت والسيارات !

ولا يزال الحزب قادراً على مقاطعة الخبازين شهراً وشهرين . حتى ينخفض سعر الخبز .

ولا يزال قادراً على تأديب الخبازين .

وأذكر أنى كنت فى لندن يوم أعلنت كل أجهزة الإعلام تناقش قرار حكومة العمال برفع أسعار السكر والبيرة والبن . وظهر على التليفزيون وزراء وحبراء وسيدات بيوت وتجار . ومضت هذه المناقشات أياما عديدة . قبل أن يجتمع مجلس العموم البريطانى ليناقش رفع الأسعار . وكان الوزراء يقررون ضرورة رفع أسعار السكر بأن الحرب مشتعلة فى أواسط أفريقيا . فانتقلت مئات الأطنان من أندية القصب . وكذلك أعدت القهوة والكاكاو . وأن رفع الأسعار ضرورة تحتمها الظروف الدولية . وكذلك أسعار البيرة . وانعقد مجلس العموم بعد ذلك بأيام . وألغت الحكومة القرار الذى هيأت الناس لقبوله !

والذين ظهروا فى التليفزيون كانوا يبدون أسفهم على ارتفاع الأسعار . ويقولون . وماذا نستفعل ؟ .. ستعتمد ميزانيتنا . وسوف تحتضر بعض الضروريات ؟ ..

والشىء الذى يبعث على الاحترام هو أن أحدا من البريطانيين لم يهجم على المحلات يشترى السكر والبن والبيرة ليخزنها فى البيت ! ..

هذا هى الحزبية .. وهذا هو البرلمان . وهذه هى أجهزة الإعلام . وهذه هى الثقة المطلقة فى صحة القرارات وعدالتها ! ..

ونحن قد جربنا . وسوف نجرب أن يقف إنسان فى الأتوبيس ويقول : لم أجد عود كبريت عند بائع السجائر .. احترق الكبريت ! ..

ونحن نعرف ما الذى سيفعله الناس فورا . سيتركون الأتوبيس عند أول محطة . ويشترون علبا يتجاوزون إليه من الكبريت . وفجأة يختفى الكبريت . ويظهر اللصوص يبيعونه بأسعار مرتفعة . ويرتفع سعر الكبريت بلا سبب حقيقى . ثم يعود الكبريت ليغمر الأسواق . دون أن ينتبه أحد إلى حقيقة ماحدث

ولكن لدى الناس « خوفا جاهزا » من اختفاء أية سلعة وارتفاع سعرها . فما الذى خلق هذا الخوف ؟ .. وما الذى جعل هذا الخوف غريزيا مرضيا هكذا ؟ ..

هذه هى القضية . وفى هذه القضية وفهمها وشرحها وعلاجها . يجب أن يتنافس الساسة والمفكرون والعلماء ..

وهناك مشاعر زائفة كثيرة استقرت فى نفوس الناس على أنها حقائق . وعلى أنها طبيعية . لأن أحدا لم يتوفر بالبحث تمهيدا للقضاء عليها ! ..

مثلا . مادمت أتحدث عن المركزية النقابية وعن الغياب الحزبي وعدم الانضباط البرلماني . فما هو تصورنا لتنمية الثقافة والإعلامية في علاج قضايا الشباب — الشباب مثلا واحداً منها .

ولا أقول « مشاكل » الشباب . فليس الشباب وحدهم المشكلة . . . فالرغيف والشقة والمقعد في الأوتوبيس والمدرسة والسرير في المستشفى . كلها مشاكل .

ومن بين التشخيصات الخاطئة أننا في كل مرة نتحدث عن الشباب نقول مشاكل الشباب . . أو الشباب المشكلة . .

يقال مثلا : إن الشباب منحصرون منشدودون . أي منعكسون بذواتهم . . ولا أجد في ذلك شيئا . فقد كنا جميعا شبابا . وكان من مظاهر تمرد الشخصية أن يضخم الإنسان كل شيء يخصه هو . وأن يرى نفسه قادرا على كل شيء . ومستحقا لكل شيء . وأنه وحده على صواب . وأن الآخرين جميعا على خطأ . . والآخرون في رأيه هم . الأكبر سنا . ابتداء من الأب فالمدرس فالحاكم فرجال الدين فالأغنياء . .

وبعض الشبان يطلقون لحاهم . وبعض الشبات يحفين وجوههن وأيديهن وعيونهن . ولا أرى أن إطلاق اللحية خطأ . فكثير من المؤمنين والمتحدين يفعلون ذلك . وإخفاء الفتيات لوجوههن حق لهن . ولا أرى في ذلك اعتداء على أحد من الناس . فكل إنسان حر في نفسه وفي جسمه . مادام لا يعتدي على حريات الآخرين . .

ثم إن هؤلاء الشباب يتطرفون معا في كلامهم ومعاملهم . والاثنان معا يجعلهم أضعف وأقوى . فالإنسان يزداد قوة وصلابة وعنادا واعتزازا إذا كان بين كثيرين مثله . وهذا طبيعي . .

فماذا كان الذي يفعله . أو يمتنع عن فعله . هؤلاء الشبان . خطأ . فما هو الصواب ؟ ومن الذي يقول لهم ذلك ؟ وكيف ؟ . . وأين ؟ . .

لقد أضحكني وأوجعني أن ظهر أحد الأساتذة في التليفزيون . يقول إن « علاج » هؤلاء الشبان هو أن تفتح لهم الساحات الشعبية ليلعبوا ! . .

إذن فهو يرى أن كل ما لدى هؤلاء الشبان . طاقة مختزنة لا يعرفون أين يوجهونها . فإذا لعبوا تعبوا . وإذا تعبوا ناموا . وإذا ناموا نامت مشاكلهم أيضا . ولا أعرف إن كان هذا الأستاذ الجامعي يرى أن يترك هؤلاء الشبان المدرجات والمعامل . ويطلقوا في الباديين العامة يلعبون الكرة . وعلى ذلك فلامعنى للدراسة والبحث والعلم والدين . هل يرى الأستاذ الفاضل أن هؤلاء الشبان أجساد وعضلات ووظائف وغرائز . وأن المطلوب هو أن نهد حياتهم . حتى لا يبدوا خيل الجامعات والمجتمع المصري ؟ .

من المؤكد أنه رجل مخلص في دعواه . ولكنه خاطئ أيضا . إنه يصف دواء صحيح التركيب . ولكن لمرض آخر . . تماما كالطبيب الذي يطلب إليك أن تشتري قطرة لعلاج أوجاع المصارين . فالقطرة دواء صحيح . ولكنها لا تناسب هذا المرض ! . .

فمن هو — إذن — الذي يقترب من الشباب ويفهم ويناقش ويحاور ويقنع ويعالج ؟ . .

وقبل أن يقدم أي إنسان على شيء من ذلك . فإني أدعوه لكي يتأمل هذه الصورة العادية جدا . ليقف عند بداية كوبري الجامعة في القاهرة . وتلاحظ عينيه من الشباب الذين أمامه . الذين الذين . واحد أطال لحيته . وواحدة أخفت وجهها وعينيها وذراعيها وقدميها . الصورة عادية . ولكن هل تعرف من أين جاء هذان الشابان ؟ هل تعرف كيف هي أسرة كل منهما ؟ هل تعرف إن كانا قد دفعا إلى الجامعة مشيا على الأقدام ؟ وكم قرشا في جيب كل منهما ؟ وكم قرشا سوف يقبض عندما يتخرج ؟ وأين يسكن إذا قرر الزواج المبكر ؟

ثم لا تنس أن هذين الشابين يمران يوميا على العمارات الفخمة . وتقول لها الصحف إن الشقة تباع بمائة ألف جنيه أو بربع مليون جنيه ! وطبيعي أن يتساءل الواحد منهما : من الذي يشتريها ؟ . . وكيف جمع هذه الأموال ؟ وكم دفع ضرائب للدولة ؟ وما الذي سوف يقدران عليه إذا كبرا ؟ . . وإذا كان الشابان سوف تدفعهما الاستقامة والدين إلى أن يتزوجا مبكرا . وأن يرعيا الله . فهل تؤدي الفضيلة والأمانة إلى أن يكون الإنسان صاحبا لمثل هذه الشقق . . أو أن هذه الشقق للذين يسرقون الشعب . والذين لا يرعون الله في شيء ؟ فهل الفضيلة والدين والاستقامة عقوبة يستحقها الإنسان من المجتمع والجامعة والدولة ؟

❦❦❦

هذه مشاكل كثيرة . فهل نختار واحدة منها لنحلها ؟ . . من الصعب أن يكون لنا هذا الاختيار . إنما يجب أن نتناولها معا . فاختيار بعض المشاكل وتفضيل بعضها على بعض ترف لا نقدر عليه . لأن المعاناة ظاهرة . والتعب عام . والعلاج يجب أن يكون شاملا : الحكومة ومجلس الشعب والحزب وكل أجهزة الإعلام والعلماء والباحثون ورجال الدين . .

وليس بالكلام . فلو كان الكلام علاجا . لابتلع المرضى « روشتات » الأطباء . ولم يتوجهوا إلى الصيدليات ! . .

إن التاريخ يروي لنا قصة الملك فيها المأساة والمهزلة معا . عندما راح الامبراطور الحبشي منليك الثاني يتلوى من الألم . وكان ألم الموت . فقد اعتاد جلالته كلما توجع أن يقطع بعض صفحات من الكتاب المقدس .

وفي آخر أيامه قرر أن يضاعف العلاج . فابتلع « سفر الملوك » من الكتاب المقدس . ومات مختنقا سنة ١٩١٣ ! .

ولن تستطيع أن تعاقب الوزراء والعلماء بأن تجعلهم يتخذون قراراتهم وأبحاثهم عن أزمة الشباب في مصر .

إن بابا روما في سنة ١٣٧٠ . أرسل وفدا من رجاله يحملون قرارا بطرد الأسقف فنكونني من الكنيسة . وكان القرار مكتوبا على جلد العجل . وعندما ذهب الوفد إلى الأسقف المطرود . حبسهم وأرغمهم على أن يأكلوا القرار البابوي — عقابا لهم وإهانة للبابا .

ولكن هذا العقاب لم يرفع عنه غضب الكنيسة وطردها له بعد ذلك . إنما فقط أراد الأسقف المطرود أن يعبر عن غضبه وغيظه . وظلت خطيئته قائمة ! . .

❦❦❦

وغير ذلك من المشاكل بيننا وعندنا كثيرة جدا — وليست بدعا في العالم كله . فلا يوجد مجتمع بلا مشاكل . . حتى مجتمعات النمل النحل جدا لها قضايا وهي مشاكل . هي كيف تنفق المال الزائد عن حاجتها . .

ولكن المجتمعات « البشرية » هي التي لها مشاكل . والمشاكل متشابكة . ويضغط بعضها على بعض . فتعقد . وتكبر العقد . وتتفجر . وتحتاج إلى حل معا .

ويعبر الشعب . وفهمه لذلك كله والقاعدة بضرورة حلها . فلا علاج ولا حل . .

ولذلك يجب أن نتجه معا . من القاعدة إلى قمة الأجهزة الحكومية والشعبية . إلى « تدعيم » مسيرة التحرير والبناء . . تحرير الإنسان من الجوع والقلق . يعد تحررنا جميعا من الخوف . وتحررنا من الاحتلال . .

وليس هذا سهلا . وليس ذلك متصورا على رجل واحد . أو على وزير واحد . أو مجلس الشعب دون الحزب . أو الحزب دون الشعب . بعيدا عن القلم والميكروفون والشاشة والمسجد والكنيسة !

والمطلوب هو أن يكون التغيير جذرياً منطقياً أي أن يكون انقلابا هادئاً . وموعدنا يوم ١٤ مايو . ■